

## ( فضائل أهل البيت عليهم السلام لسماحة الشيخ عبد الجليل البن سعد )

التفضيل هنا له إيجابيات للمجتمع كله ، فكيف يكون ذلك ؟ ففي المستوى العسكري التفضيلُ يحدد مهام كل فرد بشكل صحيح ، وكذلك من الإيجابيات تنسيق الصف الاجتماعي ، فأشرف القوم يكون القائد الديني على الناس ، فيكون محل القدوة كي يقتدي الناس في سلوكهم به ، فلماذا ذلك ؟ لأنه عارف بأحكام □ سبحانه فيكون أقرب □ سبحانه ، كأن يُقال : هذا النجار أفضل من النجارين الآخرين ، فلماذا التفضيل بينهم ؟ لأن الإنتاج الذي يخرج هذا النجار أفضل من غيره من النجارين ، لذا كي نبين أفضلية الدين الإسلامي على غيره نحتاج إلى الأدلة التي تشير على أفضلية النبي الأعظم صلى □ عليه وآله على بقية الأنبياء ورسالتهم السابقة ، ونقول في هذا الصدد أن النبي أفضل خلق □ سبحانه بالأدلة الثابتة من القرآن والسنة المطهرة ، نعم يمكن إطلاق الترف الفكري على بعض التفصيلات من قبيل القومية أو القبلية ، فذا يقال له ترف فكري ، لكن هل من الإنصاف أن يقال عن تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض ترف فكري ! ، وهناك ظاهرة غريبة لها عدة سنوات ، تقول : بأن هذا العالم ، أو هذا القائد ، أو المرجع الفلاني أفضل من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ، فبأي دليل يقال مثل هذا الكلام ؟!!! نعم مع احترامنا البالغ للعلماء الصالحين العاملين ، ومراجعتنا العظام ، لكن لا ينبغي أن نقول أنهم أفضل من بعض أنصار الحسين عليه السلام إلا بدليل شرعي ، وليس من الدليل الظني ، أو المتوقع ، أو الترجيح ، نعم يمكن أن نقول : لو كان العالم الفلاني في زمن الحسين عليه السلام لأصبح من أنصاره نتيجة ما يتمتع به من مقامات ، فهذا القول صحيح ، وعموماً التفضيل شيء باطني لا يعلمه إلا □ سبحانه وتعالى ، أو أنبياءه ، أو أوصيائه عليهم السلام ، وبالرغم من ذلك إلا أن الإمام الحسين عليه السلام قالها بصريح العبارة : [ لم أرى أبر من أصحابي ] . فهذا نص ، ومدرستنا لا تقف مقابل النص ، فليس من حقنا أن نقول أن أحداً أفضل من أصحاب الحسين عليه السلام بوجود النص ، كما أن فضائل أهل البيت تُعتبر أكبر باب في التراث الإسلامي عند المسلمين جميعاً ، وخذ مثال كتاب ( إحقاق الحق ) وهو عبارة عن ستة عشر مجلد كلها في فضائل أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام ، وكذلك كتاب ( عبقات الأنوار ) المكون من سبعين مجلداً في فضائل أهل البيت عليهم السلام ، وهذا يحكي أن هناك اهتماماً بالغاً في جمع فضائل أهل البيت عليهم السلام ، فهل من الإنصاف أن نقول لهؤلاء العلماء الذين أتعبوا أنفسهم أن عندهم ترف فكري ، وقد قال رسول □ صلى □ عليه وآله في حق أمير المؤمنين عليه السلام : (ولو أني أخاف من طوائف من أمتي تقول فيك ما قالت في عيسى ابن مريم لأخبرتهم بحديث لأخذوا التراب من تحت قدميك لأجل التبرك ) ،

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ( تجاوزوا العبودية ثم قولوا فينا ماشئتم ولا تغلوا فينا مثل النصارى ) ، فالبعض يظن في تفسير هذا الحديث أن لا نقول أن عليا عليه السلام رب وقل ما شئت سواء كان له مصدر أو بدون مصدر ، طبعاً هذا التفسير خاطئ ، والتفسير الصحيح هو أن تختار ما تشاء مما توفر عليه الدليل من الروايات ، كبائع التفاح يكون عنده الكثير من أنواع التفاح ، ويقول للمشتري : اختر ما تشاء ، ولذا قال العلامة العيني في تفسير هذا الحديث ويقف على قول ( قولوا ما شئتم ) ، يقول : ( خذ ما قيل من أدلتهم بطرقهم الصحيحة عندهم ، هنا يأتي سؤال كيف نتعامل مع فضائل أهل البيت عليهم السلام ؟ وهل نأخذ الحديث الضعيف ؟ الجواب قبل الإجابة لو كان السؤال على شركة في احتمال ضعيف أنه مريحة ألا تعتنى بالنسبة جواب العاقل يقول نعم فكيف بروايات أهل البيت عليهم السلام ) . إذاً نعم هو جوابنا على السؤال السابق ، نأخذ به لأن به نسبة من الصحة ، يجب أن نعتنى بها ، وهذا ما فعله العلامة المجلسي في البحار ، فقد ترك التنقيح والتدقيق للعلماء ، وقد يكون الحدث الذي لا نأخذ به هو الخبر الموهون الذي يكون فيه نسبة ضئيلة جداً من الصحة ، أو يكون معدوماً من الصحة كزواج القاسم من سكينه في كربلاء ، وإن بعض فضائل أهل البيت عليهم السلام من الأسرار وهي أساس مقياس الإيمان لأن هناك أموراً لا تحتاج لكمال عقلي ، بل تحتاج إلى إدراك غيبي ، بحيث المؤمن يدرك أموراً لا يدركها غيره ، إذا وفقه الله ليقين الإيمان ، وهناك مصداق لذلك ما قاله الإمام السجاد حينما قال عن عمه العباس عليه السلام : ( كان عمي العباس نافذ البصيرة صلب الإيمان ) ، وهذا من الأسرار التي اختص بها أبو الفضل عن بقية أنصار الإمام الحسين عليه السلام ، ولذا أصبحت فضائل أهل البيت عليهم السلام مجسماً لمعرفة الإيمان عند الإنسان ، وأننا ذكر بعض الاضطراب الذي وقع فيه بعض الأنبياء عليهم السلام لأجل أن ينظر الإنسان كيف أن الأنبياء حصل لهم ما حصل وهم أفضل منه ، ولكن السر عند أهل البيت عليهم السلام تحت ثلاث أنواع وهم : (1) سر لا يذاع لأي كان ، فأحد التأويلات تعني بسبب الخوف على حاملي هذا السر للهلاك من أعدائهم . (2) سر يمنع من المؤمنين معرفته ، كي لا ينشروه ويقتلوا بسببه ، لأنهم لو عرفوه دفعهم الحب إلى نشره . (3) سر يُقال فقط للخوارج فقط ، كسلمان المحمدي عليه السلام ، أو أبي ذر ، وغيرهم ممن عندهم قابلية تحمل السر .

وأختم بقول أمير المؤمنين عليه السلام : ( أن أمرنا سر مستسرٌ مقنن لا يعرفه إلا ثلاث ، إما ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو رجل امتحن الله قلبه للإيمان ) .

